

كلمة التقوى

الخطبة الأولى

أما بعد. . .

فاتقوا الله أيها الناس فإن الله تعالى خلقكم لأمر عظيم جليل بينه لكم فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١) وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٢). فالله قد خلقكم إنسكم وجنكم ذكركم وأنثاكم لعبادته تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٣).

أيها المؤمنون إن مفتاح العبودية الأعظم هو شهادة أن لا إله إلا الله. فلا إله إلا الله قامت بها السماوات والأرض ولا إله إلا الله فطرة الله التي فطر الناس عليها ولا إله إلا الله أول دعوة الرسل لأقوامهم ولا إله إلا الله كلمة التقوى والإسلام ومفتاح الجنة دار السلام.

أيها المؤمنون إن فضائل لا إله إلا الله عظيمة كثيرة فمن ذلك أنها أول ما يطالب بها العبد ليدخل في الدين الذي لا يقبل الله تعالى سواه ففي قصة بعث معاذ إلى اليمن: فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ومن فضائلها أن بها يعصم دم العبد وماله قال النبي ﷺ: ((من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل))^(٤) رواه مسلم.

ومن فضائل لا إله إلا الله أنها تحرم على النار من قالها صادقاً مخلصاً ففي الصحيحين من حديث عتبان بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله))^(٥). ومن فضائلها أن بها يدخل العبد الجنة دار السلام قال النبي ﷺ: ((أشهد أن لا إله إلا الله وأني

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الطلاق: ١٢.

(٣) فاطر: ١٥.

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان برقم ٢٣.

(٥) أخرجه البخاري في الصلاة برقم ٤٢٥ وأخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة برقم ٣٣.

رسول الله لا يلقي الله بهما عبداً غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة))^(١).

ومن فضائلها أنه من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة فعن معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة))^(٢) رواه أبو داود بسند صحيح.

ومن فضائل هذه الكلمة المباركة أنها أفضل ما نطق به العبد ففي الترمذي بسند صحيح قال رسول الله ﷺ: ((أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له))^(٣).

ومن فضائل هذه الكلمة الطيبة أن من قالها بإخلاص حصلت له شفاعاة النبي ﷺ ففي الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((أحق الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه))^(٤).

ومن فضائل لا إله إلا الله أنه لا يعدلها شيء في الميزان فعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن نبي الله نوحاً ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمه قصمتهن لا إله إلا الله))^(٥) رواه أحمد بسند جيد.

ومن فضائل لا إله إلا الله أنها إذا رسخت في قلب العبد بددت ضباب الذنوب وغيومها فعن عبدالله بن عمرو مرفوعاً: ((يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقال: أتتكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يارب فيقال: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا فيقال: إن لك عندنا حسنات وإنه لا ظلم عليك فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم فتوضع في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة))^(٦) رواه أحمد والترمذي وغيرهما

(١) أخرجه مسلم في الإيمان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم ٢٧.

(٢) أخرجه أبو داود في الجنائز من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه برقم ٣١١٦ وسنده صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص برقم ٣٥٨٥.

(٤) أخرجه البخاري في العلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم ٩٩.

(٥) أخرجه أحمد من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص برقم ٦٥٤٧ وسنده جيد.

(٦) أخرجه أحمد من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه برقم ٦٩٥٥ وأخرجه الترمذي في الإيمان برقم ٢٦٣٩ وإسناده صالح.

بإسناد صالح.

أيها المؤمنون إن من فضائل لا إله إلا الله الكبار أنها تثمر العمل الصالح فجميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة إنما هي ثمرة هذه الكلمة المباركة قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (١) فشبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة فمن رسخت هذه الكلمة الطيبة في قلبه إيماناً وتصديقاً انقادت جوارحه لأمر الله تعالى عملاً وتطبيقاً.

فلا إله إلا الله ما أعظم هذه الكلمة وأكثر فضائلها.

أيها الإخوة المؤمنون لنا مع هذه الفضائل وقفتان: الأولى: في معنى هذه الكلمة الطيبة فإن كثيراً من الناس لا يعرفون معناها وقد لا يدركون حقيقة مضمونها ولا شك أن هذا سبب كبير في تخلف هذه الفضائل عن قائلها أيها المؤمنون إن معنى قولكم: لا إله إلا الله أنكم تقولون بأنه لا معبود بالحق إلا الله تعالى فلا يستحق أحد أن يصرف له شيء من العبادات القلبية كالحبة والخوف والرجاء والتوكل غير الله تعالى. ولا يستحق أحد أن يصرف له شيء من العبادات في صلاة وذبح ونذر ودعاء غيره سبحانه بل الواجب أن يفرد جل وعلا بجميع العبادات الظاهرة والباطنة.

فإن أحل العبد بشيء من ذلك فصرف العبادة لغير الله فإن لا إله إلا الله لا تنفعه بشيء بل هو مشرك كافر متوعد بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٢) فاحذروا الشرك يا عباد الله فإن خطره عظيم اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم ونستغفرك مما لا نعلم.

الوقف الثانية: أنه لا يكفي في حصول تلك الفضائل والخيرات المترتبة على قول: لا إله إلا الله مجرد قولها فقط قال ابن القيم رحمه الله: ((فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام)) ثم قال رحمه الله: ((فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار فلا بد من قول

(١) ابراهيم: ٢٤ - ٢٥.

(٢) المائدة: ٧٢.

القلب وقول اللسان)). أيها المؤمنون إن قول القلب الذي لا بد من توفره لتحصيل تلك الفضائل وإدراك تلك المناقب هو أن تكون أعمالك ياعبد الله كلها لله وأقوالك لله عطاؤك لله ومنعك له حبك لله وبغضك له فمعاملاتك لوجه الله وحده لا تريد بذلك من الناس جزاءً ولا شكوراً.

فمن صاغ قلبه وقوله وعمله على ذلك فإنه من أهل لا إله إلا الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. أيها المؤمنون اقدروا لهذه الكلمة العظيمة قدرها فإنها مفتاح النجاة وباب السعادة في الدنيا والآخرة.

الخطبة الثانية

أما بعد. . .

أيها المؤمنون إن الله سبحانه وتعالى قد اصطفى بعض الأوقات والأزمنة وخصها بفضائل ومواهب ميزها بها عن غيرها من الأزمان ففضل الله سبحانه الأشهر الحرم على غيرها من الأشهر ببعض الفضائل والأحكام قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١) وهذه الأشهر قد بينها النبي ﷺ فقال: ((إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم: ثلاث متواليات: ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان))^(٢) متفق عليه.

فشهرنا هذا شهر رجب هو أحد الأشهر الحرم التي هانا الله سبحانه فيها عن ظلم أنفسنا ويكون ذلك بالكف عن الفحشاء والمنكر كما قال الأول:

وخير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع

قال ابن حجر رحمه الله: ((لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيام شيء منه معين ولا في قيام ليلة

(١) التوبة: ٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق من حديث أبي بكر رضي الله عنه برقم ٣١٩٧ وأخرجه مسلم في القسامة والحرابين والقصاص والديات برقم ١٦٧٩.

مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة))^(١).

فاحذروا أيها المؤمنون البدع والمحدثات

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف

أيها المؤمنون إن مما أحدثه الناس في هذا الشهر تخصيصهم شهر رجب بأنواع من البدع والمحدثات فمن ذلك تخصيصهم أول جمعة من هذا الشهر بصلاة يسمونها صلاة الرغائب ومن ذلك أيضاً تخصيصهم شهر رجب بصيام أيام معينة منه ومما أحدثوه أيضاً تخصيصهم شهر رجب بالعمرة التي يسمونها الرجبية وكل هذا من البدع والمحدثات التي لم يفعلها النبي ﷺ ولا السلف الصالح وهي لا تزيد العبد من الله إلا بعداً ففي الصحيح من حديث عائشة مرفوعاً: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))^(٢) قال ابن القيم رحمه الله: ((وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعداً فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالآراء والأهواء))^(٣).

فاتقوا الله عباد الله و الزموا الكتاب والسنة فإنه لا نجاة للعبد إلا بهما واعلموا أنه لم يثبت من هذه المحدثات شيء. اللهم اجعلنا من العاملين بالكتاب والسنة المتمسكين بهما.

(١) تبيين العجب ص ٢١.

(٢) أخرجه مسلم في الأفضية برقم ١٧١٨.

(٣) مدارج السالكين (١/٩٦).